



المهدي بن بركة

نحو بناء مجتمع جديد



الثمن 50 فرنك

نريد ان نذكر الاسباب التي أفضت بالمغرب الى الحماية بعد ما عاش القرون
الطوال متمتعاً بالاستقلال ، وان نستعرض مختلف الآفات التي حلت
هيكلة القوى المتين : من تفرقة مزقت وحدته ، وقطعت أرحامه وأضعفت
شخصيته ، وشعوذة انهكت قوى أهله ، وأوشكت ان تخمد في أفئدتهم جذوى
المقاومة والاباء ، وفوارق جعلت منهم طوائف لا تتساوى في حق ولا واجب .
فهذه الآفات التي ألققت بالمغرب في هاوية ، وهونت على الاجنبى امتلاكه ،
يجب ان تعرف فتحذر حتى لا تكون مصدرا لنكبة جديدة تشقى بها لا قدر الله
كما شقينا بسابقتها قرابة خمسين سنة

فنحن الآن بصدد بناء وانشاء ، وقد خرجنا من جهاد اصغر الى جهاد اكبر ،
والعهد الجديد يقتضى منا مزيدا من الحذر والانتباه ، لنستبقى الحرية التي
أهرقت في سبيلها دماء وأزهقت أرواح وعذب ابتغاءها رجال ونساء ، وتقهر
اقتصاد ما زلنا نعانى آثار تقهقره الى الآن ، ولنصون الاستقلال الذى هو
وسيلتنا الى تنفيذ البرامج البناءة التي نستهدف بها حكما ديمقراطيا ، وتوسعا
اقتصاديا ، وتقدما ثقافيا ، وعدالة اجتماعية ، والى تحقيق مطامحنا الوطنية
باستكمال وحدة تراب الوطن ، وجلاء الجيوش الاجنبية عنه ، وانشاء اتحاد بين
أقطار المغرب العربى تشارك فيه الجزائر المحررة التي نفتنم الفرصة السانحة
فنحى كفاحها المجيد ، ونستغفر لشهادتها الاحرار ، ذلك القطر الذى
سيعمل مع أشقائه خير المغرب العربى قاطبة ، ودعم السلم فى حوض المتوسط
وتقوية التعاون بين دوله وشعوبه .

فقرة من خطاب

جلالة الملك محمد الخامس

حفظه الله

يوم ٢٠ غشت سنة ١٩٥٨

نحو بناء مجتمع

جديد

حديث مرتجل للسيد المهدي بن بركة
مع مسيرى فرع حزب الاستقلال بتطوان
بتاريخ ٣١ يوليوز ١٩٥٨

بسم الله الرحمن الرحيم

ايها الاخوان الاعزاء :

بعد ان احببكم ساشرع فى موضوع حديثنا وهو : « نحو
بناء مجتمع جديد » ، واود ان يكون هذا الحديث متبادلا بيننا
لان الافكار اتى ساعرضها عليكم اليوم تتصل اتصالا وثيقا
بحياتنا اليومية وبمصير بلادنا

ولعل الحديث فى هذا الموضوع سيثير فى نفوس البعض
منا هذا التساؤل : هل نحن فى حاجة الى بناء مجتمع جديد ؟
وهل المجتمع الذى نشأنا فيه وتغذينا بأفكاره لم يعد بعد
مجتمعا جيدا ؟

كثير من المواطنين يعتقدون بأن مهمتنا قد انتهت بعد ما حصلنا على الاستقلال وبأننا أصبحنا نعيش حياة مثالية وفي مجتمع مثالي خال من كل العيوب ، وهذا الاعتقاد يدعو لهذا التساؤل ، وهذا التساؤل يدعونا بدوره لطرق هذا الموضوع ليكون الجواب شافيا وخاصة في ظروف تطالبنا بأن نشمر على ساعد الجد ونكافح كفاحا جديدا اقوى من اى كفاح مضى

مجتمعنا القديم

فاذا عدنا بخيالنا الى خمسين سنة خلت - او الى ما قبل تلك المدة بكثير فاننا نجد انفسنا وجها توجه امام مجتمعنا القديم امام مجتمع كانت تميزه عدة مظاهر . وكانت اهم هذه المظاهر واقواها هي : الجمود مع الغرور

ولقد ذهب هذا الاعتزاز بكل مغربي الى اعتبار حياة مجتمعه نادرة المثال ، وعلوم بلاده وفنونها لا شبيه لها في اى قطر ومعاملات بنى قومه سامية قل ان يدركها بشر ، كما دفع بنا الى النظر الى العالم وحضارته بعين الاحتقار ، اذا فرضنا اننا كنا نرى العالم لاننا في الواقع كنا نعيش في قعر بئر وداخل ستار كثيف

وكان من بين مظاهر مجتمعنا القديم ايضا الجمود والتعصب : فلا يكاد اى مواطن يدعى براى جديد الا ويتهم من طرف المثقفين - الذين كان يطلق عليهم لقب العلماء - بالزندقة وبالخروج عن الدين

لان هؤلاء العلماء كانوا يرون بان الرغبة في استعمال علوم

دخيلة غير علومنا وفنون اجنبية غير فنوننا تعد نقصا من قيمة تراثنا الذي بلغت علومه وفنونه الدرجة القصوى من الرقى والتقدم ، ولأنهم كانوا ينظرون الى العالم الخارجى باقوامه وفنونه وعلومه وحضارته نظرة تنقيص واحتقار

ولقد دام مظهر الاعتزاز بالمجتمع ومظهر الجمود والتعصب - وما يتبعهما من مظاهر رجعية - مدة طويلة في مجتمعنا ولم ينته عهدهما الا منذ ثلاثين سنة خلت

أثر الاستعمار على مجتمعنا القديم :

فعند ما اقتحم علينا الاستعمار ستارنا الكثيف احدث فى نفوسنا وافكارنا هزة عنيفة جعلتنا نستيقظ تدريجيا من سباتنا ، ونخرج من عزلتنا ، وندرك باننا يوجد عالم واسع غير العالم الضيق الذى كنا نعيش فيه متخلفين عن الركب - وانه توجد علوم وفنون ارقى من علومنا وفنوننا ، وافكار نيرة نفقت عنها كل جمود وتعصب ، واسلام حقيقى اكثر نصاعة وسلفية من الاسلام الذى اتبعناه محاطا بطبقة من القشور والخرافات وعبادة الاصنام

وفي السنوات الاولى من عهد الاستعمار اكتشفنا بان مجتمعنا لم يكن مجتمعا نادر المثال كما كنا نعتقد ، لانه لو كان نادر المثال فعلا لما تمكن الفرنسي والاسباني - اللذين كنا ننظر اليهما والى جميع الاوربيين بعين الاحتقار - من جعلنا عبيدا ، ولما استطاعت الوسائل العلمية والفنية والحضارية التى لديه من التغلب على ما كان لدينا من وسائل

وما العمل بعد الاستقلال ؟

ودفعنا يقظتنا الى الكفاح ضد الاستعمار ، وبعد كفاح سنوات طوال ظفنا بالاستقلال ، وفي عهد الاستقلال ما ذا سنعمل ، هل سنعود - كاجدادنا - الى الاعتزاز بمجتمعنا وننظر الى العالم نظرة احتقار، هل سنرضى بالحياة في مجتمعنا الحال كل الرضى وننزهه عن كل العيوب ، ام سنشمر على مساعد الجدد لنقوم ببناء مجتمع جديد ؟

صدمة تاريخية :

وفي الواقع لسنا بمسؤولين - ولا اجدادنا بمسؤولين - عن تلك النظرة التي كنا ننظر بها الى العالم لانها نظرة ناتجة عن صدمة في تاريخنا الوطني

فعلى الرغم من ان المغرب كان عربيا في المجد ، وكان مغذيا للحضارة الانسانية التي نقلت الى اوربا الاسس التي بنى عليها فيما بعد التطور العلمى والفنى فى العالم ، فان اهماله لتراثه - كما اهملته شعوب الشرق العربى والشرق الاقصى - اضاع عليه الكثير من الفرص وجعله ينظر - كالصين - الى الاوربيين نظرة احتقار ، كما جعله يتلقى صدمة قوية عند ما شنت عليه اسبانيا - بعد خروج المسلمين من الاندلس - حربا شعواء

لقد تلقينا صدمة تاريخية عندما بدأت الحروب الصليبية فى بلادنا عقب انتهائها فى الشرق العربى ، ودامت مدة ثلاث مائة سنة جابه المغرب خلالها حروبا قاسية شنتها عليه دول

اسبانيا والبرتغال وانجلترا وغيرها ، وكانت هذه الحروب سببا فى انقطاعنا عن العالم ، وبالتالي سببا فى انقطاعنا عن العلم وعن التطور . وسببا فى تحول الحرب ضد الجهل والجهاد لرفع منار الحضارة والعلم الى حرب ضد المستعمرين لدخلاء وجهاد لرفع راية العزة والكرامة . وتحول قادة الفكر واقطاب العلم الى قادة حرب واقطاب عسكريين لمغرب اصبحت رفعتهم اذ ذاك عبارة عن معسكر كبير واصبح بناؤه يقفون وقفة رجل واحد لرد جيوش الاجانب ولبناء الاسوار لجعل بلادهم حصنا منيعا على كل الدخلاء المهاجمين . وكانت هذه الاسوار وهذه الحصون تكون فعلا سدا منيعا لم يستطع الاجانب تجاوزه ، كما كانت فى الوقت نفسه حاجزا للتطور والتقدم وللعلم الجديد الذى اخذت تشع انواره فى اوربا ، ولم يستطع اختراق هذه السدود وهذه الحصون سوى الغزو الاستعمالى الذى تم فى اوائل القرن العشرين

عقدة نفسية :

واثناء تلك الفترة الحربية الطويلة ضاعت على المغرب فرصة الاستفادة من الانقلابات والتطورات التي وقعت على ابوابه فى عدة دول اوربية بسبب ذلك الستار الذى احاط به نفسه دفاعا عن الاستقلال ، ووقع الجمود فى الفكر المغربى ، كما تكونت لدى المغاربة عقدة نفسية - تكونت عن الرغبة القوية فى الدفاع عن النفس - وهى نظرتهم الى العالم نظرة خوف وحذر وبالتالي نظرتهم الى كل ما هو اجنبى نظرة احتقار وازدراء الامر الذى جعلهم لا يفتحون اى مجال للثقافة الغربية

ولم تكن هذه النظرة خاصة بالمغاربة آنذاك بل كانت هي نفس نظرة البيانيين والصينيين الى الاجانب

ولكن افكار الرجعيين اذاعت علينا - عند عودة بعثتنا العلمية الاولى - فرصة التطور والتقدم في نفس الوقت الذي اتاح فيه علماء آخرون لبلدانهم التطور والتقدم عقب عودة البعثات العلمية الى كل من الصين واليابان : ففي عهد السلطان مولاي الحسن ارسل المغرب - كما ارسلت اليابان والصين - بعثة علمية الى الخارج تلقى افرادها دراستهم في مختلف المراكز العلمية باروبا ، وعندما عادت هاته البعثات الى اوطانها كانت بعثتنا الصين واليابان سببا في تقدم هذين القطرين العظيمين حتى تمكنت اليابان اذ ذاك من خوض حرب ناجحة ضد انجلترا والصين اليوم من صنع قنابل تنتقل عبر القارات وكانت البعثة المغربية ضحية رجعية العلماء وبلاط القصر حيث اتهموا افرادها بالكفر والخروج عن الدين بسبب ارتدائهم للزي العصري مثلا وحلقهم للحاهم وتشبههم بالالوبيين

حافز اساسي لبناء مجتمع جديد :

فهذه الظاهرة وعشرات امثالها تعطينا فكرة عامة عن الحالة السيئة من التأخر التي كان عليها مجتمعنا في الفترة التي سبقت عهد الاستقلال ، هذه الفكرة العامة هي التي دعتنا الى العمل - عندما وجدنا ان المجتمع الذي خلفه لنا الاستعمار مجتمع فاسد وان واجب الاستقلال يفرض علينا ازالة بقاياها -

لبناء مجتمع جديد لنقضي على كل العلل التي بلتنا بالاستعمار لان ابقاء تلك العلل يكفي لان يجلب لنا استعمارا جديدا

مجتمع مختلف :

لقد حافظ الاستعمار على بقايا مجتمعنا القديم بسبب سياسته التي كانت ترمي لابقاء ما كان على ماكان ، لقد وجد الاستعمار لدينا صناعة وفلاحة متخلفة عن صناعة وفلاحة العالم ، وجد كلا من الصانع والفلاح يشتغل بوسائل بسيطة ويحصل على انتاج ضعيف ويعيش حياة قاسية بئيسة ، فعمل ما استطاع لابقاء ما كان على ماكان ، كما وجد المواطنين يفكرون في نطاق افق ضيق يعملون بياض يومهم من اجل كسب قوتهم بعرق جبينهم ولا يفكرون في ضرورة تعليم ابناءهم والسهر اعلى صحتهم لان حاجاتهم اليومية الماسة وتطلبها لكل وقتهم لا تدع لهم مجالا للتفكير في غيرها .

ومجتمع من هذا النوع يطلق عليه في الاصطلاح الاقتصادي اسم المجتمع المتخلف .

اضمحلال الثقافة :

وفي مجتمعنا القديم ايضا تجلت ظاهرة الجمود الفكري هذه الظاهرة المتولدة عن اقفال الفقهاء لباب الاجتهاد وانتشار العلم النقل الذي لا يتجاوز دور اصحابه - من حيث النقل

الامين - الدور الذي تقوم به الاسطوانة اليوم ، وتحولت العلوم الرياضية من سلسلة مقدمات عقلية للوصول الى نتائج منطقية الى عدة طلاسيم اذ اصبح الموقتون مثلا يجرون عمليات سخيفة للوصول الى مطالب التوقيت دون فهم لاسرار تلك العمليات .

وكان العلماء قليلين جدا الامر الذي جعل تراثنا محصورا في طبقة معينة كانت تبخل بهذا التراث الذي كان ينقرض بعضه بانقراض المحافظين عليه ، وكانت تحرمه نهائيا على عامة ابناء الشعب وتحتكره لنفسها ولا تسمح به الا لطبقة خاصة .

عبادة الاصنام :

وهناك ظاهرة اخرى من تأخر مجتمعنا وهي عبادة الاصنام ، وهذه العبادة ناتجة عن الافق الضيق الذي كان يحصر التفكير المغربي ، فقد بلغ اعجاب المغاربة ببطولة المجاهدين ضد الغزاة الاجانب من اسبان وبرتغاليين وانجليز درجة كبرى ، حتى اصبح هؤلاء الاشخاص - بعد وفاتهم - محل عبادة وتقديس ، واصبحت اضرحتهم مقصدا لكثير من المواطنين واصبحت تقام لهؤلاء الأبطال احتفالات سنوية خاصة ومنتظمة واخذت الشعوذة تظهر في هذه الاجتماعات ، ونشأ عنها تكوين فرق : حمادشة ، و« عيساوة » وغيرها ، واخذ المشرفون على بعض هذه الطرق يدعون بأن قطبهم قادر على تمكين المرأة العاقر من

الولادة ، كما يدعى آخرون بأن قطبهم قادر على معالجة المرض ، وهكذا اخذ المشرفون على الطرق يتبارون في هذا الميدان فتعددت الادعاءات ، وكثرت الخرافات ، واصبح بعض المواطنين يتكتلون حول القطب الذي تتصل به حاجاتهم

بقايا المجتمع القديم في مجتمعنا الحاضر :

اذا كل هذه الظواهر التي رأيناها في مجتمعنا القديم لم تنعدم تماما من مجتمعنا الحاضر بل لا زال اكثرها قائما لان الاستعمار جعل من بلادنا متحفا وعمل بكل قواه على المحافظة على كل ما وجدته من ادواء ومظاهر بالية :

فعند ما كنا نحاول احداث تطور في التعليم كان الاستعمار يقف في وجوهنا معارضا في احداث هذا التطور مدعيا ان ادخال اي تحويل على نظام التعليم في القسرويين يعد ماسا بالدين الاسلامي ، كما كان الاستعمار يعتبر كل مغربي اراد انشاء تعليم حر وتدريس مواد الحساب والجغرافية والطبيعات خارجا عن الدين .

لقد كان هذا الادعاء وهذا الاعتبار صادقين عن «بونيفاص» وجماعته الذين اوقفوا انفسهم « للدفاع » عن الاسلام وعندما كنا نحاول النهوض بالاقتصاد المغربي ، وازالة الفوارق الاجتماعية ، والقضاء على التعصب المحلي والقبلي ، كان الاستعمار يعترض طريقنا ولا يعمل فقط لابقاء هذه الامراض على ما كانت عليه بل يحاول تشجيعها واذكائها كلما شعر بانها تنجبه نحو الاضمحلال .

فكل هذه الظواهر الاجتماعية الفاسدة التي عمل الاستعمار على إبقائها في مجتمعنا تبرهن على أن مجتمعنا الحالي مجتمع فاسد وأنه في حاجة إلى إصلاح .

الوعي السياسي :

إلا أنه لم يؤثر الاستعمار على ظاهرة مهمة من مظاهر مجتمعنا . وهذه الظاهرة ، هي الوعي السياسي . ويرجع عدم تمكن الاستعمار من التأثير على هذه الظاهرة الهامة إلى الروح الوطنية التي كانت تملأ نفوس المغاربة طيلة قرون ، وإلى ذلك الكفاح الوطني ضد الغزو الأجنبي الذي دام ثلاثمائة سنة ، كما يرجع إلى تأخر الاستعمار في التمكن من إخضاعنا - سنة 1912 - وإلى قصر المدة التي تمكن خلالها المستعمرون من التحكم في بلادنا .

فظاهرة الوعي السياسي قوية في مجتمعنا الحاضر ويمكن أن نقول إنها أقوى عندنا من عدة دول عظمى

رأيت كثيراً من الصحفيين الأجانب يندهشون عندما يرون أجهزة الراديو في جل الأكواخ ويكاد في كل بيت من بيوت مدن الصفيح في الوقت الذي لا يجدون فيه ولو سريراً واحداً في كل تلك الأكواخ والبيوت ، مما يدل على أن العامل الفقير يقدم شراء جهاز للراديو - لأضاء متطلبات حاسته السياسية في الاطلاع على ما يجري حوله، وفي العالم من أحداث - على شراء سرير يجعله يتمتع بنوم مريح

وتتجلى ظاهرة الوعي السياسي هذه لدى المغاربة في الوقت

الذي نرى فيه الفرنسي أو الأمريكي يشغل بالسياسة مرة واحدة في بضع سنوات عند ما تحين انتخابات الرئاسة أو مجلس النواب

فنحن مرتاحون لهذا الوعي السياسي المغربي كما نحن مرتاحون لحرص المواطن المغربي كل الحرص على حقوقه مدركاً لواجباته كل الإدراك

الوعي الروحي والاجتماعي :

وكان لوجود الاستعمار أثر في صقل الأفكار الجامدة وجعلها تفكر في أحوالها وما يريد بها هذا الاستعمار ، وأول رد فعل وقع في ميدان التحرر هو قيام الحركة الوطنية السلفية - التي كانت تطوان وفاس والرباط وسلا ومراكش من بين منابعها الأولى - وهي التي أبرزت حقيقة الإسلام وجعلت تدعو المواطنين إلى نبذ الخرافات وإلى التحرر من سلطة ادعاء الدين من رجال الطرق والشعوذة

وعقب ظهور هذه الحركة السلفية تبدلت نظرنا إلى الدين وأخذنا نزيل عن أذهاننا طبقة الخرافات والقشور التي تكونت فوق لب العقيدة الإسلامية المبنية على حرية المناقشة والتفكير ، واعتقد بأنه لولا وجود هذه الحركة المباركة لتنكر كل شبابنا - الذي تابع دراسته في إسبانيا وفرنسا - إلى الدين .

فبفضل هذا الاحتكاك مع الاستعمار ظهرت الحركة السلفية التي بدلت نظرنا إلى الدين وحفظت شبابنا من الالحاد

وجعلتنا نفهم الاسلام على حقيقته كما تجلى في دعوة جمال الدين الافغانى والشيخ محمد عبده

ومن الناحية الاجتماعية احدث استعمال القوة الكهربائية وقوة الآلات البخارية انقلابا في الصناعة الاوروبية حيث تحولت من صناعة فردية الى صناعة جماعية فوقعت هذه الثورة الصناعية في منتصف القرن التاسع عشر دون ان تتأثر بها صناعتنا ولم نعرف نحن هذه الثورة الصناعية ولم نتأثر بها حتى اصبحنا تحت سيطرة الاستعمار الذى فتح الباب للرأسمال الاجنبى ، فتأسست المعامل وفتحت المصانع وأخذ العمال يتجمعون ويوحدون صفوفهم للمطالبة بحقوقهم والدفاع عنها

وهكذا ترك بعض الفلاحين وأخذ أصحاب المصانع البسيطة الصغيرة - المكونة عادة من رب العمل وعاملين - يتركون مصانعهم ويعملون بأجرة في المصانع الكبرى حيث القوة الكهربائية وحيث قوة الآلات البخارية

ونتج عن هذا تطور اجتماعى وتفكير جديد وشعور بالحقوق والواجبات ادى الى خلق وعى اجتماعى اخذ مكانه بجانب الوعى السياسى الذى كان يتمتع به المغاربة منذ عهد ما قبل الاستعمار

مجتمعنا الحاضر يحتاج الى تطور :

وبناء على ما ذكرنا فان مجتمعنا كان فاسدا في عهد ما قبل الاستعمار وان الاستعمار عمل على ابقاء الكثير من مظاهر ذاك المجتمع القديم ، كما عمل على تحطيم بعضها عندما جمع

حواله الدجائين من ادعياء الدين وعندما فتح الباب فى وجه الرأسمال الاجنبى الامر الذى ادى الى خلق وعى اجتماعى والى ظهور الحركة الوطنية السلفية . كما نرى بأن مجتمعنا الحاضر مخضرم يتكون من مجتمع ما قبل الاستعمار ومن مجتمع عهد الاستعمار

ومهما يكن لون مجتمعنا الحاضر فان نظرة دراسية اجتماعية عميقة ونظرة الى حالات الشعوب المتخلفة اجتماعيا مثلنا كافية للحكم بأن هذا المجتمع يحتاج الى تطور وبأن المغرب الجديد فى حاجة الى بناء مجتمع جديد

ولقد ادركنا كما ادركت الشعوب المتأخرة التى لها وضع كوضعنا بأن الاستقلال ليس بغاية فى حد ذاته ، وانما هو وسيلة للعمل الجدى من اجل بناء مجتمع جديد على انقاض مجتمع ما قبل الاستعمار ومجتمع عهد الاستعمار اذن مهمتنا الاساسية فى عهد الاستقلال هى بناء مجتمع جديد فكيف سنبنى هذا المجتمع الجديد ؟

كيف سنبنى مجتمعنا جديدا ؟

سنبنى مجتمعنا جديدا لاننا شعرنا - ويجب أن نجعل كل مواطن مغربى يشعر - بأن الواجب يفرض علينا تحقيق الرفاهية والسعادة والازدهار الفكرى لجميع المواطنين ، وان نجعل من بلادنا قطرا يقوم بدوره الانسانى فى ميدان التقدم الفكرى والعلمى ، ودولة تلعب دورها فى العالم ومغربا يشع بالمعرفة والنور ، واعتقد بأن كفاحنا من اجل الاستقلال

سيفقد معناه ونفوسنا ستفقد قيمتها اذا نحن أخذنا لراحة الالتقاء واذا اصبح جل مواطنينا يتسارعون من اجل ايجاد مظاهر الرفاهية لا أقل ولا أكثر ...

اننا في حاجة اليوم الى خلق حماس في نفوسنا لا يقل عن ذلك الحماس الذي ملاها عند ما كانت الدعوة الى الصبر والى التضحية وتحمل السجن والنفي من اجل الوصول الى الاستقلال ، اننا في حاجة لخلق حماس يجعل كل المواطنين يشمرون على ساعدهم لبناء مجتمع المغرب الجديد

وستنعدم كل قيمة لعملنا كوطنيين اذا اعتبرنا الاستقلال غاية ولم نعتبره نقطة البداية ومفتاحا لحوض معركة أكبر من معركة الاستقلال وهي معركة بناء عهد الاستقلال

لقد اصبحت لدينا الامكانيات لبناء المجتمع الجديد حيث تتوفر اليوم الى جانب الوعي السياسي على وسائل القوة البشرية وعلى حرية التصميم والعمل ، وبقي علينا فقط تخطيط الطريق . وارى بأن من الاوفق أن يعرف كل مواطن بدقة الهدف الذي يسعى اليه لكي يتحمس الى السير نحو ذلك الهدف

يجب ان نضع صورة تامة لمغرب الغد وأن نمكن جميع المواطنين من الاطلاع على هذه الصورة ، وألا نكتفى بتغيير سطحى بين عهد الاستعمار وعهد الاستقلال ، لان استقلالنا ليس معناه تغيير القبعة بالطربوش وانلغة الاجنبية باللغة العربية وانما يحتاج الى تغيير جذرى يتناسب مع الكفاح الذى كافحناه من اجل الاستقلال

لقد حصلنا على الاستقلال لا لتصبح وطنيتنا وطنية

تصنيفات وهتافات بل لنعمل من اجل بناء مجتمع جديد ولنضع للمواطنين الصورة المرجوة لمغرب الغد ونحدد المراحل التى سيتم فيها بناء مجتمعنا الجديد ليعرف جميع المواطنين أهداف ما بعد الاستقلال ويعملون لتحقيق هذه الاهداف . وهذه الاهداف تتلخص فى :

- تحقيق الرفاهية والعدالة والمعرفة لجميع المواطنين
- تحقيق الازدهار الاقتصادى والفكرى والاجتماعى فى جميع أنحاء البلاد ل يتمتع جميع المواطنين بخيرات بلادهم بعد ما ضحوا جميعا فى تحقيق هذا الازدهار

طرق العمل لتحقيق هذه الاهداف

تطور الفلاحة :

ان أول ظاهرة تتجلى فى مجتمعنا هي الفقر وانخفاض مستوى المعيشة لان معدل دخل المواطن المغربى لا يتجاوز عشرين ألف فرنك سنويا فى البوادي ل و قسم المدخول على التساوى بين الجميع

وان السبب الرئيسى فى هذا الفقر هو اعتماد بلادنا فى اقتصادياتها على العمل الفلاحي الذى يشغل ثلاثة ارباع سكان بلادنا ولا ينتجون ربع الدخل الوطنى العام ، والسبب فى هذا يرجع الى ان الاساليب والوسائل التى يستعملها المغاربة فى الفلاحة بسيطة جدا ، وأن المعمرين الاجانب يستعملون طرقا علمية عصرية تؤدى الى وفرة الانتاج . ومن كل هذا ندرک بأن محاربة هذا الفقر تفرض علينا تطوير

الفلاحة باستعمال الوسائل العصرية للحصول على انتاج وثروة اكثر ليرتفع مستوى المعيشة ويتجاوز المواطن مرحلة كسبه لضروريات قوت يومه الى مرحلة ما يحتاج اليه المواطن المعاصر من حاجيات تتناسب مع الكرامة الانسانية ومع الحياة التي يحيها المواطنون في البلاد المتقدمة

التصنيع :

وان تطوير الفلاحة وحدها غير كاف لمحاربة الفقر بل يجب التفكير في ايجاد سلاح آخر لمحاربهه - خاصة وان ارتفاع الانتاج الفلاحي له حد اعلى سيقف عنده وتبقى اليد بشرية عاطلة او غير منتجة كل الانتاج . ولندكر ان عددا من فلاحينا لا يشتغلون سوى بضعة اسابيع في السنة . لذلك يجب التفكير جديا في التصنيع

وعندما نذكر التصنيع لا نقصد الصناعة التقليدية - التي نريد لها التقدم والتطور المفعول ولكنها محدودة الاثر - وانما نقصد الصناعة التي تجعلنا في مصاف الدول المتقدمة وتمكننا مثلا من ان نستغنى عن جلب عدة بضائع من الخارج نصدر موادها الاولية خامة من بلادنا لتعود اليها مصنوعة

تنمية الانتاج :

ان تطوير الفلاحة والتصنيع سيعملان بصفة مباشرة لمحاربة الفقر ولتنمية الانتاج .

نجد بان الدخل العام المغربي - حكومة ومؤسسات خاصة - يبلغ سنويا 500 مليار فرنك تقريبا فاذا قسم هذا المبلغ على

مجموع عدد السكان - 10 ملايين - فان حظ كل مواطن سيكون هو 50.000 الف فرنك . ولكن هذا الرقم ليس بواقعي لان ثلثي 500 مليار يوزع على ربع السكان ومن بينهم الاجانب الامر الذي يجعل حظ المواطن المغربي المتوسط سنويا هو 20.000 فرنك فقط كما ذكرنا في أوائل هذا الحديث

وهذا القدر الضئيل هو الذي يدعونا لضرورة العمل في آن واحد من اجل تنمية الانتاج لرفع مستوى المعيشة ومن اجل التوزيع العادل لمدخل الامة

التوزيع العادل :

وستكون الاجراءات التي ستتخذ لتوزيع الدخل القومي توزيعا عادلا سببا في رفع مستوى المعيشة لئلا يتخيم البعض بنصيب وافر ويكاد يموت البعض الآخر من جراء ما يعانيه من حاجة ماسة لسد ضرورياته الحيوية لعدم كفاية نصيبه النافه لهذه الحاجيات

وهنا يبرز الدور الذي ستلعبه الحكومة في هذا الصدد وليس معنى التوزيع العادل أن نزيل للملاك املاكه لنسلمها لجيرانه الفقراء ، ولا ان ننزع لارباب المصانع معاملهم ، بل معنى التوزيع العادل أن تقوم الحكومة - مثلا - بفرض ضرائب مناسبة على الارباح والدخل الفردي فتتحصل من جراء هذا اموال للدولة يمكنها أن توسع الخدمات لفائدة المواطنين كجعل العلاج الطبي مجانا لطبقات شعبية اوسع وبوسائل تتحسن باطراد . فهذه اذن طريقة مشروعة ومنطقية لاحداث نقص نسبي من اموال الغنى وجعله كتعويض نسبي

لحاجيات الفقير ، وما أمدق المثل الصيني انذى يقول : « اذا كان هناك طعام فليأكل منه الجميع » .

ان التوزيع العادل لا يعنى القضاء على الملكية الفردية وانما يعنى أن تراقب الدولة هذا التوزيع وتحميه من سيطرة الاقطاعية والاحتكارات الخاصة

فعندما نحتاج الى تطوير الفلاحة عند صغار الفلاحين مثلا فان هذا التطوير يجب أن يتم بواسطة الحكومة حيث تشتري للفلاحين الجرارات وتقدم اليهم المساعدات المادية والفنية وتعمل على حثهم على التعاون ونبذ الروح الفردية وتناسى الحدود أثناء عملية الحرث ليتمكن الجرار من قلب مساحات مناسبة ولتتمكن الارض بعد ذلك من اعطاء انتاج مضاعف يفوق بكثير انتاج كل تلك الضيعات الصغيرة لو حرثها كل فلاح على حدة وبوسائله العتيقة عقب نزول الامطار الاولى

التعاونيات الفلاحية :

وان الهدف الذى نريد الوصول اليه من وراء جعل عملية جماعية للحرث هو تعويد الفلاحين على التعاون وعلى نسيان نظرتهم المتعصبة الى الحدود المحيطة بضيعاتهم لتتمكن الدولة بعد خمس سنوات من امداد كل جماعة من الملاكين الصغار من جرار ليصبح ملكا لهم مقابل التعهد بتنفيذ شرط واحد هو القيام بصيانتة ، وتكوين جمعية تعاونية تقوم بتوحيد التكاليف وتخفيفها وتكوين ميزانية عامة لهذه الجمعية ذلك ما سيساعد على خلق مجتمع متعاون متضامن . وسيحقق التعاون الصادق بين مجموع صغار الفلاحين ، هذا التعاون الذى سيحول ضعفهم الى قوة

ويضاعف انتاجهم عدة مرات وسيؤدى الى رفع مستوى حياتهم .

والتعاونيات الصناعية :

ويجب أن يشمل نظام التعاونيات الميدان الصناعى أيضا . فلقد نشأت الصناعة فى اوربا منذ 120 سنة وسيطرت عليها الرأسمالية واصبحت وسائل الانتاج ملكا خاصا لمجموعة من الافراد .

وفى المغرب لا توجد عندنا هذه المشكلة فى الميدان الوطنى لان اغلبية الممولين الساحقة عندنا لا يملكون الا بعض الاراضى والبيوت يؤجرونها أو تراهم ينهمكون فى التجارة غير المنتجة ولا يهتمون مطلقا بالتصنيع مما يدعو الدولة المغربية الى تبنى مشاريع التصنيع الاولى فى البلاد والقيام بها فى نطاق واسع

وفعلا لقد تأسس مكتب للتصنيع فى وزارة الاقتصاد الوطنى مهمته العمل على ايجاد الصناعات وتأسيس الشركات بمساعدة الاموال الاجنبية التى نحن فى حاجة اليها ونشترط جلبها شرطا اساسيا فقط هو الاحتياط من كل سيطرة سياسية مباشرة أو غير مباشرة

ولكن لتوسيع نطاق التصنيع ببلادنا يجب ايجاد روح التوفير وتشجيع التعاونيات الصناعية التى تجعل المواطنين المغاربة يساهمون بأموالهم فى تأسيس المعامل حيث تتكون قوة تعاونية جديدة فى ميدان التصنيع تساعد على محاربة الفقر ورفع مستوى معيشة سكان هذه البلاد

الاهتمام بشؤون التعليم :

وان من بين العوامل التي اوجدت مجتمعنا متأخرا اهمال التعليم ولهذا يفرض علينا واجب بناء مجتمع متقدم، الاهتمام بالتعليم للقضاء على الفقر الذي نعانيه من قلة المعلمين ومن ضعف الاطار الفنى لتسيير شؤون البلاد

ولا يجب علينا الاهتمام بايجاد المعلمين وبتكوين الاطار الفنى فقط بل يجب علينا أيضا العمل لاصلاح التعليم وتطويره

فالدول لا تبني على مظاهر خارجية كالحفلات والحرفيات والاستعراضات فقط وانما تكون الدولة دولة حقيقية عندما تتوفر على مجموعة كبرى من العلماء والباحثين والمهندسين الذين يسيرون شؤونها ويخرجونها من طور التبعية والعبودية الى التحرر الفعلى

ولا ضرب لكم مثلا بالفنيين الذين يسيرون الآن مرافق حياتنا، هل تعلمون أن بلادنا تتوفر على 2000 مهندس ليس فيهم مغربيا خذ الآن سوى 200 على اكبر تقدير مما يدل دلالة واضحة على أن المسافة بيننا وبين تكوين الاطار الفنى لازالت طويلة ؟

شروط النجاح

اذن فبتطوير الفلاحة وتصنيع البلاد وتنمية المدخول القومى وتوزيعه توزيعا عادلا ، وبايجاد التعاونيات فى الميدانين الفلاحي والصناعى ، وبتطوير التعليم والاسراع بتكوين

الاطارات العلمية والفنية سنعمل على تحقيق اهدافنا ليمتدح جميع المواطنين بالرفاهية والعدالة والمعرفة ولتتمتع بلادنا بالازدهار الاقتصادى والفكرى والاجتماعى

الايمان بضرورة بناء مجتمع جديد :

ولقد ادركنا من خلال ما تقدم لنا من الحديث باننا فى حاجة الى بناء مجتمع جديد لان مجتمعنا الحالى لا يتناسب مع عهد الاستقلال ويمكن لمعترض على هذا الرأى ان يقول : ان استقلالنا لازال حديث العهد لم تمر على ميلاده سوى سنتين ونصف ولا زالت تنقصه اركان مهمة كجلاء الجيوش الاجنبية عن ترابنا وتوحيد هذا التراب بعد اتمام تحرير باقى مناطقنا المحتلة من طرف كل من اسبانيا وفرنسا الامر الذى يجعل الشروع فى هذا البناء سابقا لاوانه .

واجابة على هذا الاعتراض اقول : اننا لا نريد ان نهيم فى الطريق دون ان نعرف الهدف الذى نتجه اليه بل يجب ان نعرف الى أين نسير ونحدد الطريق ونؤمن بالاهداف التى نسعى اليها قبل بدء السير لتحقيقها . فنحن ندرك تماما بأنه ينتظرنا بذل مجهود كبير لتكون بلادنا فى صف الدول التى لها كرامة ، وان من بين الاسس الرئيسية التى يجب ان تتوفر لدى دولة تشعر بكرامتها لهو المجتمع الواعى الصالح ونظرا لعدم توفر مجتمعنا الحاضر على عناصر الصلاحية حسب ما تقدم ايضا من عوامل مورثة عن مجتمعنا القديم وعن الحكم الاستعمارى ، فان الواجب الوطنى يفرض علينا

التصميمات وذلك بواسطة المؤسسات الديمقراطية من مجالس قروية وبلدية ومجلس وطنى منتخب .

القيادة القوية المخلصة :

يجب ان تكون القيادة القوية الحكيمة المخلصة سواء فى الحكومة أو المنظمات الشعبية من مواطنين حنكتهم التجربة ايام المحنة الوطنية واثبتت السنوات كفاءتهم ومقدرتهم على مواصلة السير نحو الاهداف التى تتطلب مصلحة البلاد العليا تحقيقها ومعنى القيادة الحكومية هى ان تكون الحكومة المسؤولة قوية فى جميع مرافقها قوية بعمالها وبجيشها وشرطتها ومحاكمها قادرة على تسيير شؤون البلاد تسييرا حازما منسقا دقيقا وعلى فرض احترام سلطتها على جميع المواطنين بحزمها واخلاصها ونزاهتها وعملها الجدى المتواصل

التصميم للقضاء على التخلف :

رأينا انخفاض مستوى معيشنا يفرض علينا العمل المتواصل لرفعه ، يفرض علينا التكتشير من الانتاج الفلاحي ويفرض علينا تصنيع البلاد وترقية الصناعة التقليدية ونشر التعليم وتطويره وتعميمه وفى قضية التعليم لا يمكن نشر التعليم وتطويره وتعميمه بدون وضع تصميم - فلا يعقل ان نستمر فى بناء المدارس وفتحها لنسلم ابناءنا الى معلمين يمكن ان يقال عنهم بأنهم لا

يفوق مستوى بعضهم مستوى تلامذتهم الا بقليل ، لان القيام بعمل مثل هذا يعد من باب الاجرام ولان جميع اولئك التلاميذ لن يتعلموا تعليما جيدا الامر الذى سيتضررون منه ويجعل آباءهم ينعنون التعليم فى عهد لاستقلال بالضعف والانحطاط بينما التصميم سيساعدنا على الخروج من المازق انذى نحن واقعون فيه الى حالة أحسن فى مدة محدودة من الزمن .

كما ان تقديم ارضاء الحاجيات المعجلة يرجع الى ضعف امكانياتنا المادية فحالتنا كحالة مريض ظهرت فى جسمه عدة ادواء - داء الكبد وداء الامعاء والجلد الخ - واحترافى أمر معالجتها او فى اعطاء الاسبقية لاحداها وخاصة انه لا يملك من نفقات العلاج سوى 10 000 فرنك - مثلا - فاذا ما ذهب لعيادة طبيب واخبره بادوائه وبما يملكه من مال لعلاجها فان اى طبيب عاقل لايسمح له بانفاق جزء من المال على كل داء - لان هذا التقسيم لايفيد مطلقاى داء - بل يهتم باشد الادواء خطورة فيبدا بمعالجته ثم يعالج الداء الذى يليه خطورة وهكذا

فالتصميم ضرورى عند تعدد الادواء وقلة الامكانيات وهو الطريق الذى تسلكه عدة دول لضمان اصلاح تخلفها الفكرى والاقتصادى والاجتماعى

مشاركة الشعب بواسطة المؤسسات

الديمقراطية :

بعدما تحدثنا على الشرطين الاول والثانى نعود الان للشرط

الثالث الذى يجب ان يتوفر للتمكن من بناء مجتمع جديد وهذا الشرط هو مشاركة الشعب فى وضع وتنفيذ ومراقبة التصميمات ، ويمكننا ان نتساءل ما هى الكيفية التى سيشارك بها الشعب فى وضع وتنفيذ ومراقبة التصميمات

ان هذه المشاركة ستكون بواسطة ايجاد المجالس القروية والبلدية ومجلس وطنى منتخب يراقب تطبيق بنود الدستور ويراقب سير الحكومة ويحاسبها على اخطائها اذا ما ارتكبت اخطاء ويحقق التوازن المنشود بين الحاكمين والمحكومين . ولا يتانى للشعب ان يشارك بهذه الصورة الا اذا كان منظما مكتلا داخل هيئاته السياسية والنقابية المبنية على التربية الوطنية الصحيحة

هل تتوفر هذه الشروط لدينا ؟

فهذه الشروط الثلاثة ضرورية لنتمكن من التخلص من مجتمع ما قبل الاستعمار ومجتمع عهد الاستعمار من بناء مجتمع جديد يضمن العزة والكرامة والرفاهية والازدهار لجميع المواطنين لقد نجحت كل الدول التى اتخذت هذه الشروط اساسا لتحقيق التطور وفشلت غيرها من الشعوب التى تهاونت فى تحقيق هذه الشروط وظلت تتعثر فى طريقها وتلقى خلالها اقصى الضربات

هل تتوفر بلادنا اليوم على هذه الشروط الثلاثة ؟
ففيما يتعلق بالقيادة القوية العازمة فاعتقد اننا لازلنا لم تتوفر

عليها لحد الآن ، لان الحكومتين الاوليين كانتا مبنيتين على اساس توازن صورى ، كما ان الحكومة الحالية - التى تكاد تتكون كلها من اخواننا فى الحزب - لاتتوفر على الوسائل الكافية لمباشرة مسؤولياتها كاملة حتى تتمتع بالسلطة اللازمة فى البلاد

ويجب ان نكون يقظين للعمل على تحقيق هذا الشرط الضرورى والا سنكون قلقين على مستقبل المجتمع الذى يجب ان تتوفر الشروط الثلاثة لبنائه واعتقد بان كل تهاون فى تحقيق هذا الشرط سيجعلنا نسلك طريقا غير قويم

وكان ذلك هو الباعث على المطالبة بهذا الشرط فى بلاغ اللجنة السياسية بتاريخ عشرين أبريل 1958 عندما حددنا شروط قبولنا كحزب لتحمل مسؤولية الحكومة ولكن الحكومة لم تتألف وفق هذه الرغبة وبقيت مسؤوليتنا بسبب ذلك منقوصة ما فيما يتعلق بالشرط الثانى فاعتقد اننا نسير فى طريق تحقيقه واننا قطعنا خطواته الاولى عند دراسة المجلس الوطنى الاستشارى لتصميم سنتى 1958-1959 الذى يعتبر خير مقدمة نحو تصميم عام فى ميادين انفاحة والصناعة وتكوين الاطارات وضع ليمهد فى مدة عامين تصميمات السنوات الخمس المتوالية فاذا ما نفذ هذا التصميم بدقة فسيحقق الهدف من وضعه ويجتاز بنا فترة الانتقال من عهد الاستعمار الى عهد الاستقلال كما سيمكننا من وضع يدنا على زمام اقتصادنا فى السنوات القادمة اما فيما يتعلق بتحقيق مشاركة الشعب عن طريق ايجاد المؤسسات الديمقراطية وفق الرغبة المشتركة بين الملك والشعب فان تحقيق هذا الشرط لازال فى طور المشاريع وله ارتباط بالشرط الاول

ويتساءل كثير من المواطنين : هل يؤيد حزب الاستقلال ايجاد المؤسسات الديمقراطية ام لا ؟

وللاجابة على هذا السؤال اود ان اقول :

ان حزب الاستقلال الذى عذب اعضاؤه العذاب الكافى من اجل الحرية لا يمكنه مطلقا ان يكون ضد الحرية . فحزب الاستقلال يؤيد ايجاد المؤسسات الديمقراطية وذلك بانشاء المجالس القروية والبلدية ومجلس وطنى منتخب

الشروط متماسكة الحلقات :

ولكن اريد ان انبه الى ان تحقيق هذا الشرط الثالث لا يأتى الا اذا حقق الشرط الاول لان ايجاد المؤسسات الديمقراطية قبل ايجاد قيادة قوية حازمة - تقطع دابر الخونة وتقضى على مناوراتهم وعلى كل مؤامرة اجنبية - قد يؤدى بالبلاد الى الفوضى والاضطراب فلا يمكن ايجاد المؤسسات الديمقراطية مادامت محاكمة عدى وبيهى لم تتم ، ومادامت بعض المؤامرات لازالت تدبر وتشجع من بعض الجهات ، ومادامت الحكومة لاتتوفر على سلطة حقيقية تامة فى ميدان الشرطة مثلا بينما تتوفر امكانيات للايادى الاجنبية لانفاق الاموال من اجل نخر كيانا والسير بنا فى طريق الفوضى والحراب .

ان هذه الشروط الثلاثة تكون سلسلة متماسكة الحلقات فبدون قيادة حكيمة قوية حازمة لا يمكن ايجاد المؤسسات الديمقراطية ، وبدون قيادة قوية ومؤسسات ديمقراطية لا يمكن تنفيذ برامج اقتصادية واجتماعية بعيدة المدى

الاداة الفعالة

لقد حصلنا على الاستقلال كوسيلة لتحقيق التقدم والتطور ولبناء مجتمع جديد سيحقق للشعب المغربى الرفاهية والازدهار الفكرى والاقتصادى والاجتماعى ويخلق فى البلاد روح التعاون التى تكسب القوة للضعفاء

ولكن بناء هذا المجتمع يتطلب ايجاد قيادة قوية وتصميمات اقتصادية ومؤسسات ديمقراطية ، وتحقيق هذه الشروط الثلاثة يتطلب خلق وعى يؤدى الى جعل طبقة هامة من الامة تشعر بهذه الحاجيات وبضرورة تحقيق هذه الاهداف ، واننا اليوم فى حاجة الى اداة فعالة لخلق هذا الوعى فى الشعب - كما كنا فى حاجة فى الماضى لاداة لخلق الفكرة الوطنية ولنشر التربية الوطنية هذه الاداة التى قامت بالكفاح السياسى والكفاح المسلح والكفاح النقابى

واعتقد بان الاداة الجديدة يمكن ان تكون هى نفس اداة الامس ولكن مع تغيير وسائل العمل لان معركة اليوم غير معركة الامس فلقد خضنا بالامس معركة من اجل الاستقلال ، ويجب ان نخوض اليوم معركة سلمية من اجل بناء مجتمع جديد ، ولكن تلك الاداة التى كانت صالحة بالامس للحرب يجب ان تتحول لتصبح اليوم صالحة لوقت السلم

لذلك فان هذه الاداة لن تكون صالحة الا بعد احداث تحويل فيها ، لان حزب الاستقلال الذى صنع الابطال والمكافحين اثناء معركته مع الاستعمار ، يجب ان يصنع الابطال والمكافحين لخوض المعركة من اجل بناء مجتمع جديد فى مغرب جديد وسيكون

مثله فى هذا كمثل معمل اخذ ينتج فى ايام السلم الجرارات والآلة
الكاتبة بدل انتاجه للدبابات والآلات الفتاكة فى ايام الحرب
وهذا الدافع يجعلنا نشعر بضرورة احداث انقلاب داخل
حزبنا لنجعله قادرا على القيام بمهمته الجديدة
فينبغى ان يتكون لدى جميع العاملين الشعور بالحاجة الى
الانقلاب داخل الحزب لان هذا الشعور سيجعلنا ندرك باننا
فى طريق تحقيق هذا الانقلاب

فالواجب يفرض علينا ان نعمل لتكوين الاداة الجديدة تعد
ابطال معركة بناء مجتمع جديد وهذه الاداة هى حزب الاستقلال
بعدها يتجدد فى تفكيره واسلوبه وبرامجه . وان الشرط الاساسى
لتحقيق هذا الانقلاب لهو ضرورة العمل بنفس الروح الثورية
التي كانت تملأ نفوس جميع المكافحين المخلصين اثناء معركتنا
مع الاستعمار ، لنتجدد من جديد للعمل بحماس كبير من اجل بناء
المجتمع الجديد . والله ولى التوفيق والسلام

